ردمد
٢٥١٨-٩٢٧١
ردمد الالكتروني
٢٥١٨-٩٣٦٠

ديوان الوقف السني
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات الافريقية

# مجلة دراسات افريقية

مجلة فصلية محكمة
تعنى بشؤون القارة الإفريقية
تصدر عن مركز الدراسات الإفريقية

العدد العشرون
المجلد الثاني
ربيع الأول ١٤٤٧ هـ
أيلول- ٢٠٢٥ م

المجلد الثاني
العدد العشرون

مجلة دراسات إفريقية

ربيع الأول ١٤٤٧هـ
أيلول ٢٠٢٥م

volume 2
Issue 20

Journal of African Studies

Rabi' 1 1447
SEPT. 2025

# المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| نشأة حركات التحرر الوطني في الصومال- جيبوتي الأسباب والتطورات حتى عام ١٩٧٧. | حيدر جواد كاظم جاسم الشافعي | ٢١ |
| نيجيريا ومجموعة البريكس: دراسة في الأهداف والمآلات | دينا إيهاب محمود | ٥٣ |
| دراسة حول الدور الروسيّ والصينيّ في غرب أفريقيا مع انحسار النفوذ الفرنسي: دراسة في التأثير والتحديات | مونيكا وليم | ٩٣ |
| استشراف مستقبل الصراع بين قبائل الهوسا والهمج بإقليم النيل الأزرق | عماد الدين حسين بحر الدين عبد الله | ١٤٣ |
| الجرائم ضد الإنسانيَّة كجرائم دوليَّة | هند محروس محمد الجلداوي<br>هادي محمد حسين برهم | ١٦٩ |
| السفراء والرسل بين العراق ومصر خلال العصر الآشوريّ القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ قبل الميلاد) | غيث سليم الزركاني | ٢١٧ |
| الكوارث الطبيعية من خلال كتاب (الانيس المطرب بروض القرطاس لأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) لأبن أبي زرع الفاسي كان حياً سنة: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م | حنان رضا الكعبي<br>ليث شاكر محمود<br>هيام عودة محمد | ٢٣٩ |

المجلد الثاني
العدد العشرون

مجلة دراسات إفريقية

ربيع الأول ١٤٤٧هـ
أيلول ٢٠٢٥م

volume 2
Issue 20

Journal of African Studies

Rabi' 1 1447
SEPT. 2025


| | | |
|---|---|---|
| تجربة جمهورية جنوب أفريقيا التعددية وسياستها اللغويَّة في الفترة من ١٩٦١-٢٠٢٢ | أحمد عبد الدايم محمد حسين | ٢٧٧ |
| من الرعاة المفيدين الى الرعاة الارهابيين لماذا صنفت نيجيريا لاكوارا "منظمة إرهابية"؟ | شيماء حسن علي | ٣١٩ |
| شخصية العدد: ليوبولر سيرار سنجور | محمد كريم جبار الخاقاني | ٣٤٧ |
| عرض كتاب: دولة المستوطنين في روديسيا الجنوبيَّة | بسام رضا محمد | ٣٥٣ |

# الكوارث الطبيعية من خلال كتاب (الانيس المطرب بروض القرطاس لأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) لأبن أبي زرع الفاسي كان حياً سنة: ٧٢٦هـ/١٣٢٥م

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

# الكوارث الطبيعية من خلال كتاب (الانيس المطرب بروض القرطاس لأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) لأبن أبي زرع الفاسي كان حياً سنة: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م

**ا.د حنان رضا الكعبي**
**الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب**
**dr.hanann@uomustansiriyah.edu.iq**

**ا.د. ليث شاكر محمود**
**جامعة بغداد / كلية الآداب**
**dr.laithsakir@gmail.com**

**ا.م.د. هيام عودة محمد**
**الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب**
**dr.hiyamalamiry@uomustansiriyah.edu.iq**

**تاريخ الاستلام:**
٢٥/ ٧/ ٢٠٢٥

**تاريخ القبول:**
٣٠/ ٧/ ٢٠٢٥

**تاريخ النشر:**
١/ ٩/ ٢٠٢٥

**الكلمات المفتاحية:**
**(الكوارث الطبيعية، المغرب والأندلس، الجفاف والمجاعات، الزلازل والفيضانات، التاريخ الاقتصادي، الزراعة في العصور الوسطى)**

**المجلد الثاني العدد (٢٠)**
**شهر ربيع الأول – ١٤٤٧هـ**
**أيلول ٢٠٢٥م**

**ملخص البحث:**

لعبت الكوارث الطبيعية دوراً مهماً ومؤثراً في المجتمع المغربيّ والأندلسي بفعل العوامل الطبيعية كالغلاء والجفاف والزلازل والأمطار والرياح العاصفة والبشرية كالحروب والفتن وفرض الحصار فضلاً عن الضرائب ... ونظراً للعلاقة الوطيدة ما بين الانسان وقوانين الطبيعة ممثلة بالأرض فقد عني أصحاب الحوليات بتدوين حوادث الكوارث الطبيعية وسنوات وقوعها واماكنها وذكر آثارها التخريبية التي تنجم عنها مَّن سردهم للأحداث السياسية .

وسجل لنا (ابن ابي زرع) معلومات غايةً في الأهمية والدقة العلمية رصد من خلالها حركة الكوارث وأبرز نتائجها وخاصة في الجانب الزراعي بأسلوب علميٍّ شيق للمؤرخين .. انسابت رواياته التاريخية بمعلوماتٍ جغرافيةٍ قدمت لنا فهماً جديداً وافقاً واسعاً اتبع هذه الظاهر الطبيعية في بلاد المغرب والأندلس وتحديد آثارها .

ويَّهدف البحث لدراسة وتنظيم الروايات التأريخية من مصادرها الأصلية من خلال كتاب (الأنيس المطرب بروض القرطاس) بجزئيه ورصد تلك الظواهر والكوارث الطبيعية والعوامل المؤدية لحدوثها بالمغرب والأندلس، كونها من أخطر الازمات التي تهدد الاقتصاد الزراعي لتلك الدول والتي ترتبط معها ارتباطاً وثيقاً بالاستقرار السياسي والاقتصادي والصحي والاجتماعي للبلد، مما تفرز خراب وغلاء بالأسعار ومجاعات وتذبذب المناخ فيلحق اضراراً بالغة بالجانب الزراعي والحرفي والعمراني على حد سواء والتي سنحاول تتبعها في ثنايا روايات الكتاب التاريخية والعمل على تصنيفها وتبويبها لمقتضيات البحث التاريخي كلا حسّب اهميته ومدى تأثيره على الجانب الزراعي – وهذا ما يهمنا تحديداً .

# The Natural Disasters through Al-Anīs Al-Motrib bi-Rawth Al-Kurtas by: Ibn Abi-Zar'i Al-Fasi (d. ٧th C. A.).

**Prof. Dr.Hanan Reda AL-Kabi**
**Al-Mostansiriya University, College of Arts**
**Prof. dr.laith saker**
**University of Baghdad, College of Arts**
**Hiyam odaa Al-Amiri**
**Al-Mustansiriya University, College of Arts**

**Received:**
25/07/2025
**Accepted:**
30/07/2025
**Published:**
1/9/2025

**Keywords:**
(Natural disasters, Morocco and Andalusia, droughts and famines, earthquakes and floods, economic history)

**Journal of African Studies**
volume (2)
Issue (20)
Rabi' al-Awwal 1447 H

**Absrract**

The natural disasters played an important and effectual role on the Moroccan and Andalusian society by the natural factors, like the price rises, droughts, earthquakes, rains, and storms; and the human ones, like wars, seditions, sieges, in addition to the taxes. In view of the close relationship between the human being and the nature's laws represented by the earth, chronicles have interested to record the natural disasters, the years of their occurrence and their destructive effects.

Ibn Abi-Zar'i recorded to us very important information and of scientific accuracy, through which he observed the disaster movements and their most prominent results, especially on the agricultural by an interesting and scientific method for the historians. His historical narratives were full of geographical information, and they provided us with a wide perspective on these natural phenomenon in Morocco and Andalusia and their effects.

This research aims to study and regulate the historical narratives through Al-Anīs Al-Motrib bi-Rawth Al-Kurtas, (2 vols.), and observe these phenomena, natural disasters and the factors leading to them, as they the most dangerous crisis which threatened the agricultural economy for these states, and they are related closely with their political, economic, healthy stability, causing price rises, famines and climate fluctuation which caused sever damage both on agriculture, crafts and urbanism. We will trace all these aspects through the historical narratives of this book; then we will classify them for the historical research purposes according to their importance and impact, especially on the agricultural- and this is what concerns us specifically.

**المقدمة :**

الحمد لله على هدايته ورشده، وصلواته على نبينا المصطفى وعلى آله وأصحابه ومن والاه

قال تعالى في القران الكريم: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (سورة الانعام: آية ١٤١) وقال تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ سورة الاعراف: لآية ٧٨

لقد فسر لنا الخالق سبحانه تعالى العلاقة الوطيدة ما بين الانسان والأرض تتغير بشدة ارتباطها مع تغير قوانين الطبيعة وكلا حسب تأثيرها سلبا ام ايجابيا مما فرض تأثيره على حياة الانسان الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والعمرانية وما يهمنا هو- تأثير الكوارث الطبيعية على حياة الانسان في المغرب والأندلس وخصوصاً من الناحية الاقتصادية ممثلة بالجانب الزراعي ومدى تأثيره على نشاط المجتمع فيه، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التاريخية التي اهتمت بالتاريخ الأندلسي وزخرت به، لكن لاتزال بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية مغمورةً بعض الشيء ولم تحظَ باهتمام الباحثين ومنها ظاهرة الكوارث والظواهر الطبيعية وتأثيرها على المجتمع الفاسي والأندلسي خاصة...وهذا ما نحاول تتبعه.

- **أ. وصف الكتاب:**

وصلنا كتاب (الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) بجزئين ضمن مجلدٍ واحد، وأخذ يعرف الكتاب مختصراً باسم (روض القرطاس) بدلاً من عنوانه الطويل المسجوع،«خصوصا في القرنيين الاخيرين بعد ما الف محمد بن الطيب العلمي كتابا سماه ايضا الانيس المطرب» (بن الطيب، ١٩٧٢، صفحة ٥).

مؤلفة هو المؤرخ «ابو الحسن علي بن عبد الله بن احمد بن عمر بن ابي زرع الفاسي

المغربيّ، من اهل مدينة فاس (حاجي، ١٩٦٧، صفحة ٧١٧)، كان من «اسرة نبه ذكرها بفاس في اواخر العصر الموحدي وأوائل العصر المريني، وقد ذكر منها رجالٌ عرفوا بالصلاح والزهد والفضل» (المصدر نفسه، صفحة ١٩٩).

من مؤلفاته: كتابنا (الانيس المطرب بروض القرطاس) الفة للسلطان ابي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة(٧٢٦هـ) (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، الصفحات ١٢-١٣).

فضلاً عن كتابين اخرين مهمين اولهما:(الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) والآخر (زهرة البستان في اخبار الزمان) (البغدادي، ١٩٦٧، صفحة ٧١٧).

- **ب. موضوع الكتاب وسبب تأليفه:**

أرَّخ ابن ابي زرع للمغرب ولمدينة فاس بالخصوص متناولا منذ بداية الدولة الإدريسية الحسنية الى سنة٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) فجاء تأليفه لتمجيد الدولة المرينية ولإرضاء السلطان ابي سعيد المريني، وهذا ما أوضحه في مقدمته قائلا:«واني لما رأيت مكارم دولته السعيدة اطالها الله وخلدها، واعلا كلمتها وأيدها، تنظم نظم الجمان.... أردت خدمة جمالها، والتقرب الى كمالها والتفيئ بظلالها، والورود من عذب زلالها، بتأليف كتاب جامعٍ للطيف الاخبار وملح الآداب، يحتوي على غرر التاريخ وعجائبه ونوادر الاثر وغرائبه» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٣) ويضيف قائلا:

«فاستخرت الله تعالا في تأليفه، واستعنته في تقييده...بفضل وبركات مولانا امير المؤمنين الظاهرة الباهرة» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، الصفحات ١٣-١٤).

فالكتاب يضم مادةً تاريخيةً ثرَّة تستحق منا الدرس والتدقيق والتمحيص، وتعد مصدراً مهماً من مصادر، تاريخ المغرب وفاس ضمت في طياتها تاريخ ملوك الا دارسة«ثم ينتقل الى ملوك مغراوة وبني يفرَّن، ومنها يؤرخ عهد المرابطين بشيءٍ من التفصيل، والعهد الموحدي بأكثر منه، ويختم كتابه بدولة بني مرين الدولة التي عاش تحت ظلالها يؤرخ عهدها بإسهاب وايضاح».

- **ج. أبرز ملامح منهجيته في تأليف كتابه :**

يعد ابن ابي زرع في كتابه (روض القرطاس) من أبرز مؤرخي العهد المريني تميزت منهجيته بعده امور اهمها:

(١). اتسم كتابة بميسمٍ خاصٍّ كونه مازج ما بين المنهج الحولي لرواياته التاريخية وتدوينها حسب السنين، وماً بين المنهج الموضوعي كونه مؤرخا للدول وخلفائها وملوكها وامرائها، واكد منهجيته في كتابه إذ يقول:

«.... بخبر من اخبار ملوك المغرب المتقدمين، وامرائه الماضين، وأممه السالفين، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم، وغزواتهم وأحوالهم في دولتهم» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٣) ويضيف قائلا:

«واذكرهم أميراً بعد أمير، وملكاً بعد ملك، وخليفةً بعد خليفة، وأمَّةً بعد أمة، على حسب تواليهم في أعصارهم ومراتبهم في دولتهم وأزمانهم كما وقع في الزمان» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٣) فجاء كتابة تاريخا جامعاً لأخبار المغرب وفاس.

(٢).لم يذكر مصادره، فلم يصرح بأسماء رواة رواياته، ولا مؤلفاتهم في كثير من الأحيان، بل بقيت مصادر رواياته عائمةً دون توثيق بمصدر او سلسلة سند رواياته التاريخية لمعرفة مبلغ دقتها وصحتها، وهذا ما عبر عنه ابن ابي زرع قائلا:

«فألَّفت هذا المجموع المقتضب انتقيت جواهره من كتب التاريخ والحفاظ والكتاب، وقيدته عن الرواة الثقات الأنجاب، وحذفت فيه الأسناد خيفة الإكثار والامتداد» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤).

(٣). ضم كتابة عدداً من التراجم التاريخية المهمة لفترة عصره من خلفاء وأمراء وفقهاء ووزراء وقضاة ونساء محدثات (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٨، ٣٢، ٧٧، ١٠٤).

(٤). غالباً ما يؤرخ أحداثه التاريخية المهمة بالسنة والشهر واليوم والليلة فعند

حديثة عن تأسيس مدينة فاس يقول:«وكان تأسيس الإمام إدريس لمدينة فاس...في يوم الخميس غرة ربيع الاول عام اثنين وتسعين ومائة للهجرة» (المصدر نفسه، صفحة ٥٠).

**وفي أحداث سنة(٢٥٦هـ-٨٦٩م) يحدثنا قائلا:**

«وفي سنة ست وخمسين ومائتين كانت بالسماء حمرة عظيمة من أول الليل الى آخره، ولم يعهد قبل ذلك مثلها، وذلك في ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤٦).

(٥). نجده أحياناً لا يلتزم بالتسلسل التاريخي للسنين وأحداثها في ثنايا كتابه قائلا:

«وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين...وفي سنة اربع وخمسين...وفي سنة ستين ومائتين...وفي سنة ست وخمسين ومائتين» (المصدر نفسه).

(٦). ابتعدت أغلب رواياته عن الإطالة والإطناب فجاءت مركزة ومشوقة في نفس الوقت، وهذا ما أكده بالقول:

«...مع الميل الى ترك الإسهاب والتطويل، وتجنيب الاختصار والتقليل، وجعلته كتاباً مخرجاً على التوسط فهو خير الامور» (المصدر نفسه، صفحة ١٤).

(٧). شاع في أسلوب كتابه الذي لا يخلو من دقة في التعبير ووضوح في التصوير بأسلوب بليغ مسجع، وصف لشخصيات كتابه ومدنها وأنهارها ووصف حروبها وقبائلها وغيرها من الأحداث المهمة (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٢، ١٨، ٣٦).

(٨).وضوح أسلوبه ولغته في عرض وتصوير أبعاد الأحداث التاريخية سياسيةً كانت أو اجتماعية واقتصادية واهم الكوارث الطبيعية من خلال سردها.

٩.ومما يؤاخذ عليه -مؤرخنا- ابتعاده عن النقد التاريخي من استقراءٍ للروايات وتمحيصها وتفنيدها، أو إثبات صحتها وثقتها من عدمه، بل كان أغلب أسلوبه سردياً

اكثر مما هو تمحيصا للروايات التاريخية ومقارنتها- اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار- كونه مؤرخاً لفترة تاريخية مهمه من تاريخ المغرب والأندلس ضمت في طياتها حقبة زمنية تجاوزت الخمسة قرون ونصف.

(١٠).ولابد من القول بان كتابه قد ضمَّ سرداً جغرافيَّاً وزراعيَّاً مهماً لمدينة فاس منذ تأسيسها واسباب نشأتها (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ٣٣، ٤٢، ٤٣)، ولو دقننا النظر في مروياته نجدها لا تخلو من بعض المبالغة في الوصف وتقدير للأرقام.

مهتماً في الجانب الاقتصادي لمدينة فاس والمغرب فقدم لنا صورة مهمه ومعلومات انفرد منها حول الجانب الزراعي فيها وتأثير الكوارث الطبيعية على هذا الجانب المهم من اقتصادها.

وبعد استعراض أهم ملامح منهجية مؤرخنا (ابن ابي زرع) في كتابة (روض القرطاس)، سنحاول تقفي أبرز الكوارث الطبيعية التي حدثت في بلاد المغرب وفاس وتأثيرها على الجانب الاقتصادي والزراعي على وجه الخصوص ومنها:

- «**أهم الكوارث الطبيعية وأثرها على الجانب الزراعي**»::
- **أولاً: غلاء الاسعار والقحط والمجاعات** :

شكلت المجاعات والغلاء خطراً حقيقياً على حياة أهالي المغرب وفاس وما نتج عنهما من عوزٍ وقحطٍ؛ لنفاذ المؤن والمدخرات، وارتفاع الاسعار بسبب قلة الأمطار او عدم تساقطها مما يولد جفافاً ينعكس سلبا على الجانب الزراعي والمعاشي للفرد.

فلم يستطع (ابن ابي زرع) اسقاط هذه الكوارث الطبيعية من ذاكره صفحات كتابة، وقدم لنا روايات تاريخية مهمه في هذا المحور، إذ يقول:

«وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قحط بلاد الأندلس حتى هلكت المواشي واحرق الكرم والشجر، وكثر الجراد وغلت الاسعار في جميع بلاد الأندلس» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٤).

فتضرر الفلاحين وعامة الناس من قلة تساقط الأمطار مما ادى للقحط وحرق الزرع وهلاك الدواب وكثرة الافاق فضلا عن غلاء الاسعار.

**وضمن أحداث سنة(٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) يشير لقلة الأمطار وشدة القحط قائلا:**

«وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدوة وبلاد الأندلس قحط كثير، وغاضت المياه، ولم يزل القحط يتوالى من سنة ثلاث وخمسين الى سنة خمس وستين» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٦).

ومما تقدم نستنتج أنَّ بلاد المغرب والأندلس قد مرت بسنين كوارث طبيعة حادة استمرت قرابة الاثني عشرة سنة، ممَّا أدى لضعف وقلة الزرع وتلف الثمار وهلاك البهائم والبشر نتيجة الجفاف والمجاعات وما ينتج عنها من غلاء للأسعار.

وهذا ما يؤكده (ابن ابي زرع) في رواية تاريخية مهمه،

إذ يقول:«وفي سنة ستين ومائتين عمَّ الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والأندلس وافريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها، حتى رحل الناس من مكة الى الشام، وبقيت مكة خاليةً ليس بها إلا نفرٌ يسيرٌ وسدت الكعبة فبقيت كذلك مدة (المصدر نفسه، صفحة ١٤٦).

**ويضيف قائلا ضمن أحداثها جاء فيه:**

«وكان في بلاد الأندلس والمغرب وباءٌ عظيمٌ مع غلاء السعر وعدم الأقوات، فمات فيها خلق كثير» (المصدر نفسه، الصفحات ١٤٦-١٤٧).

من النصين أعلاه نستنتج ما يأتي:

١. لم يعد عام(٢٦٠هـ/ ٧٨٣م) عام الكوارث في المغرب والأندلس وافريقية فحسب بل شمل المشرق كالحجاز ومصر والشام.

٢. من خلال استقراء نصوصه نجد بان (ابن ابي زرع الفاسي) أورد في طيات كتابه معلوماتٍ مهمةً عن كوارث طبيعية اتسمت بنوع من الشمولية لم تقتصر على المغرب بل

شملت المشرق واهلة ايضا.

٣. هناك إشارة واضحة لقلة الأقوات وغلاء الاسعار والقحط وانتشار الاوبئة مما سبب في هلاك كثير من الناس والزرع فأدى لهجرة الناس والفلاحين على حد سواء.

**ويطالعنا برواية أكثر قساوة ضمن أحداث سنة(٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) فيقول:**

«وفي سنة خمسٍ وثمانين ومائتين كانت المجاعة الشديدة التي عمَّت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدوة حتى أكل الناس بعضهم بعضا، ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيه من الناس ما لا يحصى» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٦).

فكانت سنة عجاف قلَّ فيها الزرع والحرث فانتشر الجوع والمرض وهلك خلقٌ كثير، وهذا ما أكَّده بالقول:«فكان يدفن في القبر الواحد أعدادٌ من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم، وكانوا يدفنون من غير غسلٍ ولا صلاة» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٦).

وفي ظل اقتصادٍ معيشيٍّ مهدد بالكوارث الطبيعية كان أدنى تراجع بالإنتاج الزراعي يعرض المجتمع لخطر المجاعة والقحط، خاصة بعد نفاذ ما يذخره الناس من اقوات، أما إذا توالت ثلاث سنين من المجاعة والجفاف وارتفاع الأسعار فتلك لا محالة هي الكارثة كما حدث سنة(٣٠١هـ/ ٩١٣م)، جاء في أحداثها:

«وفي سنة إحدى وثلاثمائة كان قحطٌ شديدٌ ببلاد المغرب والأندلس وافريقية، وجفت من أجله المياه جفوفاً كثيراً....وفيها المجاعة الشديدة بأفريقية والأندلس والمغرب، دامت المجاعة ثلاث سنين، من سنة تسع وسبعين الى سنة إحدى وثمانين» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٧٨).

ويبدو أنَّ هناك خطأ في تحديد السنين الثلاث أما بالتصحيف أو من قبل الناسخ، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ مؤرخنا يروي لنا الكوارث الطبيعية ضمن أحداث سنة(٣١٠هـ) تحديداً، ونرجّح أن يكون امتداد الثلاث سنين من(٣٠١-٣٠٣هـ) وهذا ما يؤكده النص الذي بين ايدينا – جاء فيه:

«وفي سنة ثلاث وثلاثمائة كانت بالأندلس والعدوة وافريقية فتنٌ كبيرةٌ، ومجاعةٌ عظيمة شبهت بمجاعة عام ستين ومائتين بلغت فيها الحاجة مبلغاً لا عهد لهم بمثله، وصل مد القمح ثلاثة دنانير[1]* ووقع الموت في الناس حتى عجز الناس عن دفن موتاهم» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤٨).

«وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة نزل بردٌ عظيمٌ كبير الحجر...قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس، وكسر الثمار والاشجار، وكان ذلك إثر قحطٍ شديدٍ وغلاء عام» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣).

شكلت الظواهر الطبيعية عاملاً مهماً في حدوث بعض الكوارث الطبيعية حسب قلتها أو كثرتها، فللعواصف البردية القوية التي كانت تحدث في آخر فصل الخريف فعلها المؤثر سلبا في اتلاف المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية وقتل البهائم والناس مما أفرز مجاعةً وغلاءً عظيمين، فكان الهالك بالجوع أكثر من الهالك بالقتل حتى تجاوز الحد المألوف، فتعرضت المغرب وافريقية والأندلس لكوارث طبيعية وليست بشرية هددت اقتصادها ومجتمعها، ففي القرن الخامس الهجري عم الجوع والهلاك ببلاد المغرب فجاء في احدى الروايات التاريخية:

«وفي سنة إحدى عشرة وأربعمائة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تاهرت إلى سلجماسة، وكثر الفناء في الناس» (المصدر نفسه، صفحة ١٨٢).

كما اشار إلى حدوث غلاء في بلاد الأندلس سنة(٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) (المصدر نفسه، صفحة ٦٧)

ويبدو أنَّ الكوارث الطبيعية بدت أقلَّ شدَّةً وتأثيراً في القرنين السابع والثامن الهجريين مقارنة بالفترة التي سبقتها.

ففي سنة(٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) ازداد الجوع وقلَّ الحصاد وكثرت الازمات التي

---

(١) المد: ويساوي ٥٤٤غم، والدينار يساوي٤,٢٥غم، ينظر: هنتس:فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي، ١٩٧٠،ص٤٧، ص٦٢.

أرهقت الناس فمات الكثير منهم نتيجة الجوع وارتفاع الأسعار، وقلة الزرع حتى سميت بسنة المجاعة والفتن في فاس، وهذا ما أكده (ابن ابي زرع) فيقول:

«وذلك سنة سبع عشرة وستمائة المذكورة....وجاءت سنة المجاعة والفتن، فقلت الجبايات بالمدينة، ومات أكثر الناس جوعاً، وقل الانفاق على الجامع، وعدمت الزيوّت» (المصدر نفسه، صفحة ٩٥).

والمجاعة الثانية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي) والتي استمرت لمدة ثمانية عشر عاما حتى سيمت بـ(المجاعة العظمى) بالمغرب بعد نهاية الدولة الموحدية(٥٤٠-٦٣٢هـ/ ١١٤٥-١٢٣٢م)، كثرت الحروب والفتن وبالتالي ازدادت المجاعات وقلَّت الأقوات، وغلت الاسعار وهاجر الناس، فجاء على لسان (ابن ابي زرع) قوله:

«فلما كانت المجاعة العظمى التي خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدمت الأقوات، وذلك من سنة تسع عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة، لما أراد الله انقراض الدولة الموحدية وظهور الدولة المرينية بالمغرب اطالها الله وخلدها» (المصدر نفسه، صفحة ٥٤).

وهناك إشارة عابرة إلى مجاعة في سنة(٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م). في بلاد المغرب عند حديثة عن تخطيط مدينة فاس ووصف طرقها وأنهارها وأسوارها وأبوابها ووديانها، قائلا:

«ولها ايضا في سورها باب الجوف، وهو باب المقبرة وفيه يخرج إلى الرابطة القديمة التي في راس العقبة سد زمن المجاعة سنة سبع وعشرين وستمائة، فلم يزل على حالة إلى الان» (المصدر نفسه، الصفحات ٥٥-٥٦).

ويشير الكتاب إلى المجاعة الرابعة من مجاعات القرن السابع الهجري القاسية والتي استمرت اكثر من تسع عشرة سنة شبيهة بالمجاعة العظمى التي سبقتها، فأشار

قائلا: «وخرب ذلك كله في أيام المجاعة والفتنة في أيام العادل واخية المأمون[1]*، وذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وكان مدة توالي الخراب عليها عشرين سنة إلى أن ظهرت الدولة المرينية» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ٦٧)

يبدو لنا جلياً- أنَّ هذه المجاعة العظيمة التي تعرضت لها مدينة فاس ومدنها تمازج في حدوثها نوعين من الكوارث بشرية تمثلت بحدوث الفتن والأزمات والاضطرابات الداخلية، وما نتج عنها من نوع آخر من الكوارث الطبيعية كنتيجةٍ حتميةٍ تجسدت بالأزمات الاقتصادية للبشر والأرض، وبالمجاعات والقحط وقلَّة المؤنة وما ينتج عنها من قلة الزرع والحرث وغلاء الاسعار.

- **ثانيا: الأمطار والسيول والفيضانات:**

للطبيعة اهمية على تباين الاحوال الاقتصادية والزراعية خاصة من خلال تأثيرها على حتمية الرخاء الاقتصادي، من خصبٍ وازدهارٍ معاشي وكثرة الزرع ونمائه أو عدمه بما تجود فيه الطبيعة بسبب اختلاف المناخ والتضاريس المتنوعة في بلاد المغرب والأندلس تحديداً.

وقد أسهب (ابن ابي زرع الفاسي) في ذكر محاسن فاس قاعدة بلاد المغرب ومدنها ووصف أنهارها وزرعها (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ٥٣ ومابعدها)، دون أن يشير

---

(١) العادل: هو الخليفة: ابو محمد عبدالله العادل بن الخليفة ابي يوسف المنصور الموحدي تولى الخلافة (سنة ٦٢١هـ) وتلقت العادل، كان العادل واحداً من سنة عشر ولد ذكراً من اولاد الخليفة ابو يوسف المنصور وهو ثاني ثلاثة من ابناء تولوا الخلافة للموحدين من بعده والاحزان هما محمد الناصر وابو العلا إدريس الذي خلف ابن اخية يحيى المعتصم (ساءت احوال الدولة الموحدية في خلافته وكثرت فيها الاهواء والفتن في معظم انحاء المغرب والأندلس فخرج عليه تخوه ابو العلاء الدين إدريس المأمون والي أسبيلة ودعا لنفسه بالخلافة فقام الموحدين بقتل العادل سنة ٦٢٤هـ.
ينظر: المراكشي: محي الدين عبد الواحد بن علي(ت:٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٩١، ابن عذارى: ابو العباس احمد بن محمد المراكشي(ت:بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، بيروت، طبعة دار الغرب الاسلامي،١٩٨٥، ق٣، ص٢١٢-ص٢١٤.

إلى خصوصية موقعها الجغرافي.

شكلت الأمطار والسيول والفيضانات خطراً حقيقياً على حياة سكان بلاد الأندلس وفاس، فظلت تهددهم بالهلاك فلم يغفل المؤرخون تلك الكوارث الطبيعية من رواياتهم التاريخية، فقدم لنا مؤرخنا الفاسي معلوماتٍ مهمةً في هذا المجال فيحدثنا قائلاً عن أحداث سنة(١٦٠هـ/ ٧٧٦م) في دولة الادارسة جاء فيه:

«فلما كان في بعض الليالي نزل مطرٌ عظيمٌ وابلٌ، فهبط السيل من أعلى الجبل دفعةً واحدة، فهدم جميع ما كان مبنياً، وأفسد جميع ما كان غرس...وهلك فيه خلقٌ كثيرٌ فكان ذلك سبب رفع اليد من بنائها» (المصدر نفسه، صفحة ٣٧).

إن وابل الأمطار وغزارته أدى لحدوث السيول التي اخذت الاراضي بزرعها وبنائها وناسها واتلاف المحاصيل الزراعية...

«وفي سنة اثنين واربعين وثلاثمائة...وجاءت السيول العظيمة بجميع المغرب، وكان بها الرعود القاصفة والبروق الشديدة ودام ذلك أياماً كثيرة» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣).

كما أعقبتها سنة(٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) فيضانات عارمة «وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة كان بلغ الفيض الذي فاضت فيه أودية المغرب الى غاية لم تعهد» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٥).

ويطالعنا (ابن ابي زرع) برواية تاريخية غايةً في الأهمية جاء في ثناياها:

«وفي سنة احدى وثلاثمائة كان قحطٌ شديدٌ ببلاد المغرب والأندلس وافريقية... وجاء بهذه السنة بوادي سجلماسة سيلٌ عظيمٌ لم يعهد مثله، ولم ير بتلك الأرض كلها في تلك السنة مطر، فعجب الناس من ذلك» (المصدر نفسه، الصفحات ١٧٦-١٧٧).

رغم أهمية الرواية إلَّا أنَّها لا تخلو من تناقضٍ واضحٍ، ففي هذه السنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م) حدث قحطٌ شديدٌ وجفاف، وأعقبة سيلٌ أُطلقَ عليه لشدته (السيل

العظيم) ولم ينزل المطر في بلاد المغرب والأندلس وافريقية نهائيا في تلك السنة وفعلاً هذا ما يثير العجب....

كما تعرضت عدوة الأندلس والمغرب مما أفسد الحرث والمباني والأسواق-إذ يقول :

«وفي سنة اثنتين وثمانين....وفيها جاء السيل الطائر بقرطبة فأذهب أسواقها، وعلا على الزهراء وفيها كانت الريح شديدة بالمغرب، وهدمت الديار وأفسدت الثمار» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٩).

ويبدو أنه أطلق عليه لقب (السيل الطائر)؛ لأنه لم يبقِ شيئاً إلَّا دمره بفعل السيول الجارفة والرياح القوية هدمت الاراضي الزراعية والمباني، وأغرقت المدن بأسواقها.

وتجدر الإشارة إلى أن عدم انتظام سقوط الأمطار في وقتها وحدوث السيول يجعل الأرض مهيأة أكثر لتفشي الامراض والأوبئة، فضلاً عن مضارها في فساد الأرض والزرع والدواب وبين أيدينا رواية اعتمد المؤلف في تقصيها من مصدرها بنفسه عن طريق المشاهدة، فيقول فيها:

«قد شاهدت الزرع حرث بالمضارة المذكورة[1]* في خامس عشر من شهر ابريل، وحصَّد في اخر مائة، منشاة في الطيب والبركة عن خمس وأربعين يوماً، وذاك في سنة تسعين وستمائة....ولم ينزل مطر تلك السنة، ولم ترو الأرض إلَّا في الثاني عشر من شهر أبريل المذكورة، فحرث الزرع مخاطرة فجاء كما ذكرنا» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ٥٩).

- **ثالثا: الجراد والحرائق :**

تشكل الآفات الحشرية عاملاً مهماً لحدوث المجاعات والأوبئة والخراب وفساد الزرع والحرث، مما يؤثر سلباً على المنظومة الزراعية وانتاجها في شموليته بفعل تلك الكوارث الطبيعية التي اكتسحت بلاد المغرب والأندلس بشكلٍ مستمر، وقد نبَّه علماء

(١) لم اقف عليها

الفلاحة والغذاء الى خطر هذه الآفات ومنها- الجراد- تحديداً على المحاصيل الزراعية الذي غالبا ما ينتشر في المناطق الصحراوية في فصل الربيع وهذا ما أكده(القزويني) قائلا:

«فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة التربة رخوة، ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفراً، وباضت فيها كلُّ واحدٍة مائة بيضة إلَّا بيضه وطارت، وافتها الطيور والبرد» (القزويني، ٢٠٠٦، صفحة ٣٤٤)، ويضيف فيقول:

«ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض، وأكلت زرعها حتى قويت ثم تنهض إلى أرضٍ اخرى وباضت كما فعلت في عاملها الأول وهكذا دأبها» (المصدر نفسه، صفحة ٣٤٤).

ومن خلال تتبعنا الدقيق للروايات التاريخية الواردة في كتابنا(روض القرطاس) نجد بأنَّ نشاط الجراد وما تسبب به من هلاكٍ للأرض والحرث، ومجاعات تركزت في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين أكثر من غيرها كجزءٍ لا يتجزأ من تأثير الكوارث الطبيعية على الزراعة بالمغرب والأندلس، فجاء في احدى رواياته نصاً يقول فيه:

«وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قحط ببلاد الأندلس حتى هلكت المواشي... وكثر الجراد وغلت الاسعار في جميع بلاد الأندلس» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤٤).

وأخذ خطر الجراد يتسع في مداه وتأثيره فأخذت اسرابٌ منه تكتسح بلاد المغرب فانعدمت فيه الأقوات، ونقصت الغلات، وشحت أرباح الفلاحين وغلت الاسعار، ففي «سنة سبع وسبعين عم الجراد الكثير بلاد المغرب وسمع بها» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٥) ضمن أحداث عام(٣٧٧هـ/ ٩٨٧م).

وبعد أربع أعوامٍ تقريباً أعقبتها موجةٌ أخرى من الجراد، فعمَّ البلاء وانتشرت المجاعات وغلت الاسعار فأشار (ابن ابي زرع) إلى هذه الكارثة قائلاً:

«وفي آخر إحدى وثمانين وثلاثمائة...وفيها أتى الجراد الكثير فوق النهاية عمَّ جميع بلاد الأندلس، فسرح بها، وكان جله وأكثره بقرطبة حتى كثر به الأذى وعظم به البلاء» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٨).

وهناك رواية تاريخية تؤيد انتشار الجراد بقرطبة جاء فيها:

«إنه في شهر مارس بقرطبة: «ويظهر دبيب الجراد فيؤمر بعقرها» (القرطبي، ١٨٧٣، صفحة ٤١).

ولابد للدولة من إجراءاتٍ وتدابير وقائية لاجتناب الكوارث الطبيعية ممثلة بالجراد-وتقليل آثارها فأوعز(المنصور بن ابي عامر)[1]* للناس بجمع الجراد وصيده لدفع ضرره جاء في نصه:

«فأبرز المنصور الأموال للناس وأمرهم بجمعة وعصره[2]** وجعل جمعه وظيفة كل أحد بقدر طاقته، وأفرد له سوقاً لبيعة من جانب السوق» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٧٩).

ويبدو أن استمرار هجوم الجراد المفاجئ لثلاث سنوات على المزروعات والمغروسات وما يتسبب به من ضرر بيئي وعجز غذائي وزراعي دفع الناس لجمعه «وتمادى أمر الجراد ثلاث سنين من سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة إلى آخر سنة ثلاث وثمانين» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٩).

وقيل في تفادي كارثة الجراد وتقليل ضررها :-

---

(١) هو الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر العامري، اتصل بالخليفة الحكم وولي اعمالا من قضاء وامامه ثم انتظم في اصحاب السلطات وترشح لوكالة ولي العهد هشام المؤيد (سنة٣٥٩هـ) وتكفل بأعباء الخلافة لما تقلدها هشام وهو وليدا، توفي سنة (٣٩٣هـ) ينظر: الضبي: ابي جعفر بن عميرة(ت:٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس، قدم له وضبطه: الهواري. صلاح الدين، بيروت، ط١، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م، ص١٠٥.

(٢) ولعله يقصد :: عقرها، اي القضاء عليها فلا يجوز عصرها...

«إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها بحيث لا يظهر أحد منهم، فإذا لم ير الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شيءٌ منها، وإذا احرقت شيئا منها، فإن البقية تعدل عن القرية إذا شمت قيادها او تسقط وتموت» (القزويني، ٢٠٠٦، صفحة ٣٤٤)

ويتحفنا (ابن القطان) بروايات عن آفة الجراد وعظيم ضررها على الفلاحين والمحاصيل الزراعية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي) فأشار لأحداث سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) قائلا:

«وأكلت الجراد زرع قرطبة وفيها اشتدت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة وكثر الموتى وبلغ مد القمح خمسة عشر ديناراً» (المراكشي، ١٩٩٠م، الصفحات ٢٢٥-٢٢٦)

وفي سنة (٥٢٧هـ/ ١١٣٢م): أكل الجراد زرع هذه السنة بالأندلس» (المراكشي، ١٩٩٠م، صفحة ٢٢٦) اما في سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) أشار قائلا: «محت الجراد ما على الأرض من زرع وكلا» (المصدر نفسه، صفحة ٢٣٥)

وللحرائق فعلها المؤثر في تحديد مصير الأراضي الزراعية بمنتوجاتها ومخازنها والأسواق التجارية لتصريفها، سواء كانت تلك الحرائق كارثة بشرية أم نتيجة لفعل الطبيعية.. وما يجعلنا في شك من هذا الأمر، بسبب قلة الروايات التاريخية الواردة في هذا المجال من الكوارث فضلاً عن كون(ابن ابي زرع) لم يفصح عن أصل ومصدر تلك الحرائق بتأثير الناس أو بفعل الكوارث الطبيعية.

تعد الحرائق من اشد الكوارث واكثرها فناء» وأشدها فتكاً بالأرض والأنسان والحيوان على حد سواء...وقد عرفت بلاد المغرب والأندلس هذا النوع من الحوادث لما تؤديه من ضرر اقتصادي على الاراضي الزراعية والمنتوجات الزراعية والصناعية وهلاك للبشر والحرث وتأثيرها سلبا على الفلاحة والفلاحين.

ففي سنة(٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) أحرقت الأشجار بثمارها وهلك الدواب «وفي سنة اثنين وثلاثين ومائتين قحط بلاد الأندلس حتى هلكت المواشي وأحرق الكرم والشجر... وغلت الاسعار في جميع بلاد الأندلس» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة

١٤٤).

وتعتبر سنة(٣٠٥هـ/ ٩١٧م) سنة قاسية ومفجعة لأهل فاس والأندلس ولشدتها سميت بـ(سنة النار) لكثرة الحرائق فيها وسعة وشمولية امتدادها لم تحرق الأرض والزرع فحسب، بل امتدت للمدن بأسواقها التجارية وأسوارها وأرباضها حتى قيل:

«وفي سنة خمس وثلاثمائة احرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة زنانة، وأحرقت أسوار مدينة فاس، واحرقت ارباض مدينة بيأسه من بلاد جوف الأندلس، واحرقت أسوار قرطبة، وذلك في شهر شوال.... فسميت سنة النار» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٩).

«وفي سنة٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) تعرضت بلاد الأندلس لحرق وهدم وفناء الزرع والأشجار (المصدر نفسه، صفحة ١٨٨) مما قلَّل الأقوات وانعدام الأرباح فترتفع الأسعار وتحصل المجاعات مما يضطر بعض الفلاحين للهجرة وطلب العيش بسبب الحروب والفتن والغزوات. وضمن أحداث سنة(٥٧١هـ/ ١١٧٥م) احترقت الأسواق في بلاد المغرب وامتد الحريق للمدينة وابوابها، جاء في روايته:

«احترق السوق في ليلة أربع وعشرين من جمادي الاخرة من سنة احدى وسبعين وخمسمائة، طلع الحريق بالناس من سوق باب السلسلة حتى وصل الى الباب، فاحترقت القبة التي كانت ثم من الخشب واحترق أكثر الباب» (المصدر نفسه، الصفحات ٨٥-٨٦).

- **رابعا: كوارث الزلازل :**

تعد الزلال من الكوارث الطبيعية التي نجم عنها تدمير الأراضي بزرعها ومبانيها وسكانها، وقد أشار القران الكريم الى هذه الظاهرة في قوله تعالى (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (سورة الاعراف: آية ٧٨)، وقولة: (**إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا**) (سورة الزلزلة: آية ١-٢).

شهد المغرب وبلاد الأندلس بعض الهزات الأرضية التي لها امتداداتها الجغرافية وهي من الظواهر الطبيعية التي تحدث نتيجة احتباس الرياح والابخرة تحت الأرض مما دفع بعض المؤرخين (ابن سينا، ١٩٦٥، صفحة ١٧) (القزويني، ٢٠٠٦، صفحة ١٢٦)، لتقديم تفسير علمي لحدوثها.

وبين أيدينا شذرات متناثرة لرواياتٍ قليلةٍ عن الزلازل التي تعرضت لها فاس والأندلس- وقد فسر لنا أحد المؤرخين الجغرافيين السبب في قلتها وتباعد أغلب فترات حدوثها، قائلا:

«إن المغرب قليل الصواعق والزلازل» (العمري، ١٩٨٨، صفحة ١٠٧).

ويبدو أن أعظمها وأشدها قوة كانت في سنة(٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، فأشار مؤرخنا الى هذا الحدث بالقول: «وفي سنة ست وسبعين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة عظيمة ما سمع الناس بمثلها قبلها، تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور والجبال، وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيطان والدور، وفرت الطيور عن أوكارها وفراخها وماجت في الهواء زماناً حتى سكنت الزلزلة" (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤٧).

فتعرضت الكثير من مدن المغرب وبلاد الأندلس للدمار بفعل حدوث الزلزلة التي اسماها بـ (الزلزلة العظيمة) هدمت القصور والبيوت واهتزت لها الصخور والجبال، مما أدى لهجرة الناس ومنهم الفلاحون فلم يبق زرعٌ ولا حرثٌ ولا دوابٌ الا وأهلكته.

ونراه في موضع اخر سميتها (الرجفة) وفي السنة نفسها يروي لنا قائلا:

«وعمت هذه الرجفة بلاد العدوة من طنجة إلى تلمسان وجميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها من البحر الشامي الى اقصى المغرب الا انها لم يمت فيها أحد لطفاً من الله تعالى بخلقة» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٧).

وقد تفاوتت قوة هذه الهزات بين واحدةٍ وأخرى وعدد مرات ترددها، وشدتها

وحجم

مداها الجغرافي وما يترتب عليه من تفاوت للأضرار التي تسببها لمجتمعات تلك المدن، وتدميرٍ لاقتصادها ويحدثنا عن زلزال سنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) قائلا:

«وفي سنة خمس عشرة كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس التي هدمت الجبال واضطربت بها وهدمت الديار من شدتها» (المصدر نفسه، صفحة ١٨٥).

كان لهذه الزلزلة فعلها بتخريب العمران والدور وما يرافقها من هلال الاراضي ومنتوجاتها، وحصدٍ للأرواح البشرية والحيوانية مما قد ينعكس استفحال ظاهرة الهجرة للمدن الاخرى او ظاهرة السلب والنهب هربا من الخوف والجوع.

ويبدو أن الغالب على كلِّ كارثةٍ زلزاليةٍ تباعد فترتها التاريخية وشدة قوتها ودمارها وأطلق على كلٍّ منها بـ(الزلزلة العظيمة) لكثرة تكرارها وتعاقبها، وهذا ما أكدة (مؤرخنا) بالقول:-

«وفي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة...وفي ربيع الآخر منها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس بالمغرب مثلها، هدت البنيان، ومات فيها خلقٌ كثيرٌ تحت الردم، ووقعت الصوامع والمنارات، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرر في كل يوم وليلة من أول يوم ربيع الآخر الى آخر يوم من جمادي الآخرة من السنة المذكورة» (المصدر نفسه، صفحة ٩٦).

للزلازل آثارٌ كارثية على الحياة الاجتماعية والبيئة والاقتصادية؛ لما تخلفه من دمار للمنشآت والأبنية بأسواقها ومخازنها ومحاصيلها ومنازلها ومساجدها وقناطرها، وما يرافقها من حالة الخوف والذعر بين الناس في الأندلس وفاس، مما يبرهن قوة التداخل بين المؤثرات المناخية والكوارث الطبيعية على الفرد والمجتمع.

وفي سنة(٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)»حدثت زلازل عظيمة عند طلوع الشمس وعند زوالها في جمادى الأولى في بعض بلاد الأندلس،....وتهدمت من ذلك ديار كثيرة وصوامع مساجد بمدينة قرطبة وغرناطة واشبيلية» (المراكشي ا.، ١٩٨٣، صفحة ١١٠)

وحسب رواية (ابن ابي زرع) فان مدينة تونس تعرضت أيضاً لزلزلة عظيمة سنة(٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) جاء فيها:

«وفيها تزلزلت مدينة تونس سبع مرات في يومٍ واحدٍ حتى تهدمت المباني العالية» (بن الطيب، ١٩٧٢، صفحة ١٤٦).

ساهمت الزلازل في انعدام الامن في المسالك والمدن، مما أفرز الخوف، والجوع وكسدت الأسواق وتناقص العمران وانقطعت أسباب المعيشة، فهاجر البعض منهم بحثاً عن العيش والأمان بسبب هذا النوع من الكوارث الطبيعية.

- **خامسا: ظواهر الكسوف والرعد والرياح ::**

شكلت ظواهر الكسوف والخسوف والبرق والرعد إلى جانب الرياح وتأثيرها مجالا لا يقل أهمية عما سبقه من الكوارث الطبيعية، وإن كان أقلَّ ضرراً وتأثيراً مما سبقه على قوام الحياة الاقتصادية في المغرب والأندلس، ممثلة بالجانب الزراعي والحيواني، فقدم لنا (ابن ابي زرع) صورة رائعة لتلك الظواهر وانعكاساتها في توجه الزراعة وزعزعة نشاطها الزراعي.

فيحدثنا عن أحداث سنة(٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) فيقول:

«وفي سنة أربع وخمسين كسف القمر كلُّه من أوائل الليل حتى أصبح ولم ينجل» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١٤٨).

وفي رواية اخرى جاء منها«وفي سنة تسع وثمانين ومائتين كان الكسوف العظيم للشمس كسفت الشمس كلها، وذلك في يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال من السنة المذكورة وذاك بعد صلاة العصر (المصدر نفسه، صفحة ١٤٦).

قد يكون لظاهرة الكسوف والبرق والرعد تأثيراً غير مباشر على الحياة الاقتصادية للفرد بالمغرب والأندلس كونها تصنف ضمن الكوارث الطبيعية، فتأثيرها أقلَّ شدة وتأثيراً مقارنةً بما سبقها من كوارث، يمكن القول بأن أبعادها وضررها من الناحية

الاجتماعية نفسياً فيثير الخوف والترقب والاستنفار الذي يدفع الناس للصلاة والتضرع بالدعاء لطلب الرحمة والطمأنينة، وهذا ما أشار اليه مؤرخنا فأضاف قائلا:

«فبدر أكثر الناس بالأذان في المساجد للمغرب، فغاب القرص كله وظهرت النجوم، ثم انجلت بعد ذلك وعادت مضيئةً قدر ثلث او نصف ساعة، ثم غربت وأعاد الناس الأذان والاقامة والصلاة» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٨).

وقد يحدث الكسوف للشمس والقمر في آنٍ واحدٍ كما حدث«وفي شهر خمس وخمسين وثلاثمائة...من شهر رجب....كسفت الشمس والقمر كسف القمر ليلة اربع عشرة منه، وطلعت الشمس مكسوفة في اليوم الثامن والعشرين منه» (المصدر نفسه، الصفحات ١٥٣-١٥٤).

وأشار إلى كسوفٍ آخر عند روايته لأحداث شهر رجب من سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) قائلا: «....وكسفت بالشمس آخر هذا الشهر...كان ذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٨) ويحدثنا عن ظاهرةٍ فلكيةٍ مهمة تمثلت بالكسوف الكلي للشمس فيقول في أحداث سنة(٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) «وفي سنة اثنين وثمانين...وفيها كان الكسوف الذي أذهب القرص كلة» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٩).

فضلاً عن ذلك فقد حدث كسوفٌ أُطلق عليه( الكسوف العظيم) وخوف الناس والمزارعين ما قد ينجم عنه من احتجاب للشمس والقمر من كوارث وموت تسيطر على هاجسه وتفكيره.

«وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة كسفت الشمس يوم الاثنين عند الزوال في اليوم الثامن والعشرين، وهو كسوف الشمس العظيم الذي لم يعهد قبله مثله» (المصدر نفسه، صفحة ٩٥).

ورغم أن (ابن ابي زرع) لم يحدّد لنا في هذا النص الثامن والعشرين من أي شهر .. لتلك السنة، إلَّا أنه لا يقلل من قيمته التاريخية.

وقد أمدنا(الفاسي) ببعض الإشارات عن ظاهرتي البرق والرعد وتأثير تلك

الاضطرابات المناخية والعوارض على الفرد وسبل معيشته....وتركزت في نصين مهمين جاء في اولهما:

«وفي سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة...وكان بها الرعود القاصفة والبروق الشديدة، ودام ذلك اياماً كثيرة» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣).

إنَّ تعرض بلاد المغرب والأندلس للبروق والرعود الشديدة والمتكررة مما يؤثر سلباً على نفسية الناس والفلاحين، ويثير عندهم الخوف والفزع.

أما النص الثاني فجاء ضمن أحداث عام(٤٠٦هـ/ ١٠١٥م):

«وفي سنة ست واربعمائة...وكان بهذه السنة رياحٌ كثيرةٌ وبروقٌ خاطفةٌ ورعود قاصفة دون مطر» (المصدر نفسه، الصفحات ١٨١-١٨٢).

كما تأثرت الزراعة في المغرب وبلاد الأندلس بحركة الرياح وشدة هبوبها قد تؤثر سلباً على المحاصيل الزراعية وتسبب أزمةً غذائيةً حقيقية، فتعيق نمو الخضر والفواكه وقد تؤدي إلى اتلافها.

وبين أيدينا العديد من النصوص التاريخية حول ظاهرة الرياح وتأثيرها في المجتمع المغربيّ والأندلسي وفي اقتصاده على وجه الخصوص...جاء في إحداها:

«وفي سنة سبع وثلاثمائة كان بالمغرب والأندلس وافريقيا...وفيه كانت الريح الشديدة السوداء التي قلعت الاشجار وهدمت الديار بمدينة فاس، فتاب الناس وخافوا ولزموا المساجد، وارتدعوا عن كثير من الفواحش والفساد» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١١٤٩).

وهناك إشارة الى سنة(٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) جاء فيها:

«وفي سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة...وفيها كانت الريح الشديدة التي هدمت المباني» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣)،كما حدثت عاصفة اكثر شدةً من سابقتها بعد ثلاثة عشر سنة فقيل:

«وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كانت ريح شديدة هدمت الاشجار وهدمت الديار، وقتلت الرجال» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣).

وعندما تتجاوز التقلبات المناخية فترة الستة أشهر تتحول الظاهرة الطبيعية الى كارثة تفتك بالحرث والزرع وتهدم الاسواق ومخازن المؤنة، وتقتل الانسان والحيوان، وتنتشر الامراض والاوبئة مما يؤدي لقلة الأقوات وغلاء الاسعار.

ففي سنة(٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) هبت ريح شرقية عاتية فقيل عنها:«وفي سنة تسع وسبعين كانت الريح الشرقية بالمغرب، دامت الى ستة أشهر، فأعقبها الوباء العظيم والأمراض الكثيرة» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٥).

وفي سنة(٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) قيل عنها: «كانت الريح الشديدة بالمغرب، وهدمت الديار وأفسدت الثمار» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٩).

وفي النص إشارة واضحة بأن هبوب الرياح القادمة من الصحراء والتي تتسم بالحرارة الشديدة والجفاف من شأنها أن تفسد الغلات، وتمنع الفواكه من النضوج، وقد تؤدي الى حرق وإتلاف المحاصيل الزراعية.

ويبدو أن أعظمها قوة وأشدها تأثيراً كانت الرياح التي هبت سنة(٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) حتى أطلق عليها (الرياح الهائلة) جاء في روايتها:«وفي سنة خمس وثمانين كانت الرياح الهائلة التي هدمت المباني بمدينة تلمسان وأحوازها، واقتلعت الاشجار العظام ونظر الناس الى البهائم تمر بين السماء والأرض، نعوذ بالله من سخطه» (المصدر نفسه، الصفحات ١٧٩-١٨٠).

وقد يلجا الناس إلى طلب الاستغفار والتضرع بالصلاة والدعاء في المساجد أو في منازلهم؛ لدفع ضرر هذه الكوارث معتقدين أنها عقوبة من الله سبحانه لذنب ما.

ومرت المغرب والأندلس وافريقية برياحٍ كثيرة سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م» (المصدر نفسه، صفحة ١٨٢).

وفي القرن السابع الهجري هبت ريح شرقية تشبه مثيلتها في المغرب التي سبق ذكرها-واستمرت لأربعة اشهر دمرت الزرع والحرث، فنفذت المؤنة بالمخازن، قلت الأقوات وانتشرت المجاعات والجفاف والامراض لامتداد فترتها وسعة تأثيرها..

«وذلك في سنة تسعين وستمائة وهو عام الريح الشرقية دامت فيه الشرقية أربعة أشهر ولم ينزل مطر تلك السنة» (المصدر نفسه، صفحة ٥٩).

وقد تكون تلك العواصف والرياح القوية مصحوبةً بالبرد او الغمام وقد يصاحبها حمرة في السماء، وتؤثر بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر على الأرض والزرع وتفسد غلاته، وتعيق نمو محاصيله أو تعرضها للتلف.

«وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة كانت سنة الغمام، أقام الغمام بالمغرب خمسة أيام لايرى الناس فيها شمساً ولا يرى واحد من الأرض إلَّا موضع قدمه، فخاف الناس لذلك واخرجوا الصدقات فتابوا فكف الله عنهم ذلك الغمام» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٢).

وبين أيدينا روايتان عن البرد في بلاد المغرب والأندلس، الأولى ضمن أحداث سنة(٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) والثانية سنة(٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) جاء في الأولى:«وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة نزل برد عظيم كبير الحجر، زنة الحجر رطل وأزيد قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس، وكسر الثمار والشجر، وكان ذلك إثر قحط شديد وغلاءٍ عام» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣).

إن انخفاض درجات الحرارة التي قد يصل لحد الانجماد، فيهلك كثير من الناس وخصوصا طبقة الفقراء، ويفسد الزرع والثمر وتموت الاشجار مما يسبب غلاء المعيشة ومجاعات كبيرة.

«وفي سنة اثنين واربعين وثلاثمائة نزل أيضا بردٌ عظيمٌ لم يعهد مثله، قتل المواشي وأهلك الثمار، واستسقى الناس في هذه السنة واستصحوا» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣).

وقد يرافق هبوب الرياح احمرار السماء«وفي سنة ست وخمسين ومائتين كانت بالسماء حمرة عظيمة من أول الليل إلى اخرة، ولم يعهد قبل ذلك مثلها، وذلك في ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٦).

ومن بين الظواهر الطبيعية الأخرى ظهور الشهب والنجوم، جاء في روايته«وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة...ظهر شهابٌ ثاقبٌ مائلٌ كالعمود العظيم اضاء الليل لسطوع نوره وشبهت بليلة القدر، وقارب ضوءها ضوء النهار» (المصدر نفسه، صفحة ١٥٢).

وفي سنة(٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)«وفيها ظهر نجم في السماء...كان هذا النجم في راي العين كالصومعة العظيمة، طلع من جهة المشرق وتهافت جريا من بين المغرب والجوف، وتطاير منه شرر عظيم فزع الناس منه ودعوا الله تعالى في صرف مكروهه عنهم» (المصدر نفسه، صفحة ١٧٨).

وشهدت بلاد المغرب والأندلس ظهور الكوكب الوقاد الذي قيل عنه:«وفي سنة ست وأربعمائة طلع الكوكب الوقاد في السماء، وكان عظيم الجرم كثير الضياء، يطلع في الافق الشرقي...وكان بهذه السنة رياح كثيرة وبروق خاطفة ورعود قاصفة دون مطر» (المصدر نفسه، الصفحات ١٨١-١٨٢)

ومن خلال الروايات التي درسناها...لاحظنا الآثار السلبية التي قد تعكسها تلك الكوارث الطبيعية ومنها انتشار الامراض والاوبئة والمجاعات، وهذه ما حاولنا تتبعه في ثنايا البحث وخصوصا في الاعوام (٢٨٥هـ / ٨٩٨م) (المصدر نفسه، الصفحات ١٤٦-١٤٨)،(٣٠٧هـ / ٩١٩م) (المصدر نفسه، صفحة ١٤٩)، (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) (المصدر نفسه، صفحة ١٥٣)، (٣٧٩هـ/ ٨٩٨م) (المصدر نفسه، صفحة ١٥٥)، (٤١١هـ/ ١٠١٢٠م) (المصدر نفسه، صفحة ١٨٢).

- **سادسا: دور الدولة في دعم الجانب الزراعي:**

عرف أهل المغرب والأندلس بشديد عنايتهم بالأرض والفلاحة، واستصلاح

الأراضي الزراعية وتملكها، وتباين دور الدولة في دعم الفلاحين والزراعة في بلاد المغرب وافريقية والأندلس فكان متأرجحاً من فترة لأخرى.

ويحدثنا(ابن ابي زرع) أنَّ (إدريس بن إدريس الحسني)[1]* بالمغرب كان شديد الرعاية والدعم في هذا المجال ففي سنة(١٩٠هـ/ ٨٠٥م) عندما كان يتخير البقاع لمدينة يسكنها هو وخاصة وجنوده ووجوه أهل دولته، فاختط مدينة بسند جبل زالغ شمال المغرب «وشرع في بنائها، فبنى جزءاً من سورها، فأتى سيلٌ من على الجبل في إحدى الليالي فهدم جميع ما كان بناه من السور المذكور، وحمل ما حولة من خيام العرب، وأفسد كثيراً من الزرع، فلما رأى ذلك إدريس...رفع يده من البناء، وقال: هذا موضع لا يصلح للمدينة، فالسيول تركبه من راس الجبل» (المصدر نفسه، صفحة ٣٦).

ويبدو أن إدريس بن إدريس قد استشعر الخطر الذي سببه السيل العارم ومخاطره على المغاربة، وإهلاكه للمباني والزرع والحرث.

لقد شرع إدريس بأتباع سياسة جديدة تتمثل بشراء الأراضي الخصبة والعامرة من القبائل البربرية، فتحولت الاراضي من ملكيةٍ خاصةٍ إلى ملكية الدولة لبناء مدينته الجديدة- فاس- «وقيل إنه اشتري موضع عدوة الأندلس من بني يرغش بألفي درهم وخمسمئة درهم فدفع لهم المال، وكتب العقد بشرائها منهم» (المصدر نفسه، صفحة ٤٠).

---

(١) هو الإمام إدريس بن إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، الحسني، أمه أم ولد مولدة نفرية اسمها كنزة، يكنى بابي القاسم فصيحاً بليغا فقيهاً شجاعاً، أخذت البيعة له على المغرب وعمره ١١سنة وخمسة اشهر ،وتولى الحكم سنة ٨٨هـ، بني مدينة فاس سنة ١٩٢هـ (ت:٢١٣هـ) ينظر: ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل(ت:٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، ط١، القاهرة، بلا. تاريخ،ج١، ص٣١٥، ابن خلدون: عبد الرحمن محمد الحضرمي (ت:٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت، دار الكتب اللبنانية، ١٩٨٣، ج٤، ص١١، العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك(ت:١٠٤٩هـ/ ١١١١م)، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، القاهرة، المطبعة السلفية، بلا. تاريخ، ج٤، ص١٨١.

«ثم اشترى موضع عدوة القرويين من بني الخير الزواغين بثلاثة الاف درهم وشرع في بنائها» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، صفحة ٤٠)، ولما فرغ إدريس من بناء المدينة وأسوارها وأبوابها، أنزل القبائل العربية كل قبيلة بناحية، وحرص على اكساء مدينته بحلل خضراء عامرة موشاة «فأمر إدريس بغرس الأرض وعمارتها...بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار، فعمرت الأرض بالحراثة والفراسة، وأينعت الثمار، واطعمت الاشجار والكرم من سنتها» (المصدر نفسه، الصفحات ٦١-٢).

سبق وأشرنا إلى دور الحاجب المنصور بن ابي عامر في درء خطر آفة الجراد التي تعد من أهم وأخطر الكوارث الطبيعية الذي استمر لثلاث سنين منذ (٣٨١هـ-٣٨٣هـ/ ٩٩١م- ٩٩٣م) «فأبرز المنصور الأموال للناس وأمرهم بجمعه وعصره، وجعل جمعه وظيفة كلّ أحد بقدر طاقته، وأفرد له سوقاً لبيعة من جانب السوق» (المصدر نفسه، الصفحات ١٧٨-١٧٩).

وفي عهد المرابطين(٤٨٤-٥٣٩هـ/ ١٠٩١-١١٤٤م) نزلت قبيلة لمتونة رحبة مراكش وغيرها من القبائل التي سكنت الصحراء، وتعتبر سياسة تقليل الضرائب الزراعية المجباة على الأرض من العوامل التي ساعدت في زيادة إقبال الفلاحين على الأراضي الزراعية واستثمارها وفي هذا الصدد تطالعنا الرواية التي جاء فيها:

«كانت لمتونة قومٌ غلبت عليهم البداوة، وكانوا مع ذلك أهل دين متين، وقام لهم بالمغرب والأندلس ملك عظيم، فعدلوا في أحكامها...لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج، لافي بادية ولا في حاضرة.....وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن» (المصدر نفسه، صفحة ٩٤).

مما دفع الفلاحين الاستقرار والعودة لمزارعهم واستثمارها فزدات الأقوات، ورخصت الأسعار، وعمَّ الرخاء لانخفاض الضرائب التي كانت تفرضها سلطة زناتة على بلاد المغرب وملوك الطوائف على الأندلس فتمسك الفلاحين بأرضهم وعمروها بالزرع.

وفي سنة(٥٢٨هـ/ ١١٣٣م)، كان للدولة دورٌ مؤثرٌ وفعَّالٌ في دعم الثروة الزراعية ومراقبتها وتنشيطها من خلال تدخلها في الاراضي المحبوسة وغلتها، ومحاسبة المقصرين بأمرٍ من (علي بن يوسف بن تاشفين)[1]* جاء في روايته:

«فوجدها في أيدي اقوام قد أكلوها وحبسوها من أموالهم، فأزالها عن أيديهم وقدم وكلاء غيرهم ممن يوثق بدينهم وحاسب المعزولين الذين كانت بأيدهم وطالبهم بغلة الرباع والأرضين المحبسة، فخرَّج عليهم بالمحاسبة أموالاً كثيرة» (ابن ابي زرع، ١٩٧٢، الصفحات ٨٣-٨٤).

كما دأبت الدولة ممثلة بخليفتها وأمرائها على الاهتمام بالجانب الزراعي من خلال بناء وترميم السدود والحواجز المائية والقناطر للحدّ من كوارث الفيضانات والسيول العظيمة، وفي هذا الصدد أُشير إلى دور يوسف بن عبد المؤمن بن علي الزناتي الكومي(المتوفى في سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) فقيل إنَّه:«وفي سنة ست وستين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت، وشرع في بنائها يوم الأحد ثالث شهر صفر من العام المذكور» (المصدر نفسه، صفحة ١٨٦).

وهذه الإجراءات والتدابير التي تبناها ولاة الأمر في المغرب وبلاد الأندلس لدرء خطر السيول الموسمية الجارفة لضمان ازدهار الثمر والزرع، وانتعاش الاسواق التجارية والحوانيت وضمان الحفاظ على مستوى الاسعار وانخفاضها....

---

(١) هو الامير علي بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الصنهاجي اللمتوني، كنيته: ابو الحسن أمه ام ولد رومية اسمها قمر بويع له يوم مات ابوه بمراكش (سنة ٥٠١هـ) بعهد ابيه له، ملك بلاد المغرب وافريقية والأندلس، اقام العدل، وضبط الثغور سلك طريق أبيه في جميع أموره وتسمى بـ(امير المؤمنين)، توفي سنة ٥٣٧هـ: ينظر:ابن القطان، نظم الجمان، ص١٦، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ج٢، ص٧٨-ص٧٩، ابن الخطيب: لسان الدين ابي عبدالله محمد بن سعيد الغرناطي الأندلسي(ت:٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، بلا. ت، ج٢، ص٣٩٣.

- **سابعا: هجرة الفلاحين:**

ارتبطت طبيعة الحياة الاقتصادية بالوضع السياسي للدولة من خلال الخلفاء وولاة الأمر، وسيطرتهم على الأراضي الزراعية في المغرب والأندلس وحيازتها لملكية الدولة، فضلاً عن فرض الضرائب التي تثقل طاقة الفلاحين والمسوقين، وعلينا أن لا نغفل أثر الصراعات السياسية ومحاربة الدولة لمعارضيها وما يرافقه من قتلٍ ودمارٍ للأرض والفرد، مما يضطرها أحياناً لفرض حصار على المدن قد يمتد شهوراً على حساب عامة الناس والمزارعين على وجه الخصوص- مما يضعف اقتصادها من قحط وجوع ونفاذ المخازن من الاحتياط، وما يرافقه من غلاء المعيشة مما يضطر الفلاحين للهجرة بحثاً عن العيش بأمانٍ واستقرار.

وكان للكوارث الطبيعية فعلها المؤثر في دفع الناس والفلاحين للهجرة بسبب الجوع والقحط والزلازل والبرق والرعد والرياح العظيمة والخسوف، وانتشار الحرائق والاوبئة فيهرب الفلاح لاجتناب ودرء خطر تلك الكوارث والظواهر الطبيعية.

وهذا ما تؤكد أحداث سنة(٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) جاء فيها «وفي سنة ستين ومائتين عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والأندلس وافريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها، حتى رحل الناس عن مكة الى الشام» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٦).

ورغم أن الهجرة لفلاحي المشرق إلَّاأنها تنساق على الفلاحين في بلاد المغرب وافريقية والأندلس.

«وفي سنة ست وسبعين ومائتين...كانت زلزلة عظيمة ما سمع الناس بمثلها قبلها، تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور والجبال، وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيطان والدور» (المصدر نفسه، صفحة ١٤٧).

وعندما حدثت المجاعة العظمى بالمغرب ما بين سنة(٦١٩-٦٣٧هـ/ ١٢٢٢/ ١٢٣٩م) إبَّان قيام الدولة المرينية انتقل البعض وسكنوا الكهوف

(المصدر نفسه، صفحة ٥٤).

وقد نظم المرنيون هذه الهجرة الجماعية «ففر الناس أمامهم يميناً وشمالاً ولجأوا إلى الجبال المنيعة لتكون لهم حصناً ومالاً» (المصدر نفسه، صفحة ٣٦).

ونتيجة كساد أحوال المعيشة والعمران وانتشار الاوبئة طلباً للعيش الرغيد والاستقرار بعيداً عن الخوف، انحسرت الأراضي الزراعية وتغيرت وضعيتها بانتقال ملكيتها من ملكية خاصة إلى اراضي مهاجرين مضطرين...

فنجد أن هناك علاقة وطيدة وتناغماً ما بين الكوارث الطبيعية والهجرة الجماعية للناس والمزارعين، لها صداها في الواقع التاريخي والجغرافي لبلاد المغرب وافريقيا والأندلس.

(فالفلاحة هي العمران، ومنها العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والاموال، وبها تملك المدائن والرجال وببطالتها تفُسد الاحوال وينحل كل نظام» (ابن عبدون، ١٩٥٥، صفحة ٥)

**الخاتمة وأبرز النتائج:**

تميزت بلاد المغرب والأندلس بتنوع تضاريسها ومناخها وخصوبة تربتها مما دفع سكان المنطقة للاهتمام بالزراعة وابتكار طرق وأساليب مستحدثة للاهتمام بالجانب الزراعي وتسميد الأرض وحراثتها، فازدهر علم الفلاحة بالأندلس وافريقيا وازداد الأقبال على التأليف في كتب الفلاحة والنبات.

ومن خلال ثنايا البحث نستطيع أن نستنتج عدة امور أهمها: -

١. قدم لنا (ابن ابي زرع الفاسي) من خلال كتابة (روض القرطاس) بجزئية مادة تاريخية ومعلومات اقتصادية واجتماعية مهمه عن المجتمع المغربيّ والأندلسي، وما يهمنا- الجانب الاقتصادي- ممثلاً بزراعتها وغلاتها وسلعها ويقدم لنا وصفاً رائعاً لأسواقها.

٢. حرص الكتاب على تدوين أهم ملامح الحياة الاقتصادية من حالات الرخاء والقحط وارتفاع الاسعار والازمات الزراعية التي يمر بها المجتمع المغربيّ والأندلسي ممثلةً بأبرز الكوارث الطبيعية وأثرها على الجانب الزراعي حتى نهاية سنة(٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م).

٣. صور لنا الأحداث التاريخية عند حديثة عن الأدارسة والمرابطين والموحدين واختتمها بالمريينين، موثقة بخلفائها وأمرائها وانجازاتهم الاقتصادية كشاهد عيان لأغلب تلك الأحداث.

٤. لم يكتف (ابن ابي زرع) بتقصي الكوارث الطبيعية في المغرب والأندلس فحسب، بل تعداها لذكر كارثة القحط والغلاء وما أعقبها من هجرةٍ جماعيةٍ للناس والفلاحين خاصة في مصر وبلاد الحجاز كلها، حتى هاجر الناس من مكة الى الشام كما حدث سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م).

٥. أكَّد مؤرخنا على دور الدولة الاقتصادي وتدخلها في الحد من تأثير الكوارث الطبيعية على المجتمع والجانب الزراعي خاصة، وسبل الوقاية منها.

٦. اما على صعيد الكوارث والظواهر الطبيعية فقد رصد لنا العديد من تلك الكوارث مثل القحط والمجاعات وغلاء الاسعار، وانتشار امراض والاوبئة فضلا عن ظاهرة الكسوف والسيول نتيجة غزارة الأمطار والزلازل، وانتشار آفة الجراد والحرائق والبرد والبرق والرياح العظيمة، واستطعنا من خلال تتبعها في ثنايا البحث تمثلت بتنوعها في عدد مرات حدوثها وقوة تأثيرها على الجانب الزراعي وهجرة الفلاحين فيها:

فالسيول والجفاف وحالات الفيضانات في فاس والأندلس وافريقيا سبع حالات، والزلال خمس حالات تركزت معظمها في الجزء الثاني من الكتاب ونصوصه.

أما الرياح العظيمة وتأثيرها الكارثي فجاءت في ثمانية حالات تقريباً، أما الكسوف للشمس والقمر فجاء في سته حالات خمسة منها في الجزء الأول والسادس في الجزء الثاني من كتابه.

وكان للأوبئة والامراض نصيبٌ من تلك الكوارث تراوحت بين (٦-٧) حالات، إذا ما أضفنا إليها:

كارثة اسراب الجراد وتأثيرها على الزرع وهلاك الناس والدواب تمثلت بأربع حالات قاسية استمرت لسنين.

وللحرائق نصيبٌ لا يقل عن سابقتها تبلور في أربع حالات لحرق المدن بأكملها مع اسواقها وغلاتها ومخازنها الغذائية.

كما حرص (ابن ابي زرع) على توثيق حالات الغمام وحمرة السماء وظاهرة البرد وتأثيرها فضلاً عن طلوع الكواكب والنجوم والشهب.

٧. قدم لنا الكتاب مادةً غنيةً عن الآثار البيئية والصحية للكوارث الطبيعية وما صاحبها من انتشارٍ للأمراض والاوبئة، وما نتج عنها من هلاكٍ للإنسان والحيوان كشفت عمق تأثير تلك الظواهر على الجانب الزراعي وما رافقها من هجرة للفلاحين بحثاً عن الامان والاستقرار الزراعي والمعيشي لإيجاد مجالاتٍ بديلةٍ تجنبه كوارث الجوع

والقحط والمرض والزلازل وغلاء الأسعار، فكانت تلك التحركات البشرية بمثابة متنفسٍ للمجال المتأزم للفلاحين على وجه الخصوص.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن عذاري ابو عبدالله (ت: ٦٩٥ه/ ١٢٩٥م) المراكشي. (١٩٨٣). البيان المكغرب في اخبار الأندلس والمغرب. بيروت: دار الثقافة.

٢. ابن فضل بن يحيي (ت: ٧٤٩ه/ ١٣٤٨ه) العمري. (١٩٨٨). مسالك اللابصار في ممالك الامصار. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

٣. ابو محمد حسن (ت: القرن ٧ ه / ١٣م) المراكشي. (١٩٩٠م). نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

٤. اسماعيل باش (ت: ١٣٩٩ه/ ١٩٢٠م) البغدادي. (١٩٦٧). هدية العارفين في اسماء المؤلفين. طهران: ط٣.

٥. الحسين عبدالله (ت: ٤٢٨ه/ ١٠٣٦م) ابن سينا. (١٩٦٥). الشفاء. القاهرة.

٦. الفاسي (كان حيا: سنة ٧٢٦ه/ ١٣٢٥م) ابن ابي زرع. (١٩٧٢). الانيس المغرب روض القرطاس. فاس – الرباط: مطبعة الرباط.

٧. خليفة مصطفى (ت: ١٠٦٧ه/ ١٦٥٦م) حاجي. (١٩٦٧). كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون. طهران: هدية العارفين في اسماء المؤلفين.

٨. زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ه/ ١٨٢٣م) القزويني. (٢٠٠٦). عجائب المخلوقات زغرائب الموجودات. مصر: مطبعة مكتبة الايمان.

٩. سورة الاعراف: آية ٧٨. (بلا تاريخ).

١٠. سورة الاعراف: لآية ٧٨. (بلا تاريخ).

١١. سورة الانعام: آية ١٤١. (بلا تاريخ).

١٢. سورة الزلزلة: آية ١-٢. (بلا تاريخ).

١٣. عريب بن سعد (ت ٣٧٠ه/ ٩٨٠م) القرطبي. (١٨٧٣). تقويم قرطبة. ليدن: مطبعة برلين.

١٤. محمد العلمي (ت: ١١٣٤ه/ ١٧٢٢م) بن الطيب. (١٩٧٢). مقدمة كتاب روض القرطاس. غالمغرب: مطبعة صور للطباعة.

١٥. محمد بن احمد التنجيبي (من اهل القرن ٥ هـ/ ١١م) ابن عبدون. (١٩٥٥). رسالة في آداب الحسبة والمحتسب. القاهرة: تحقيقي ليفي بروفسنال (ضمن مجموعة ثلاث رسائل اندلسية في الحسبة).